خطبة عيد الأضحى (٢)

التوحيد

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد

عباد الله: (**قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ**)[1].

نعم هذا عيدنا الذي منّ الله به علينا "عيد الأضحى"، وفي هذا العيد العظيم ترجع بنا الذكريات لنتعلم من المعلم سيدنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم تسليمًا كثيرًا.

إن ما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام أمر عظيم وليس بالسهل، فيه عظات وثمار كثيرة بها تحيا القلوب وتحيا الأمم، وكما علمنا أن الله أمره في الرؤيا أن يذبح ابنه لما بلغ معه السعي، يقول ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم: (**شَبَّ وَارْتَحَلَ وَأَطَاقَ مَا يَفْعَلُهُ أَبُوهُ مِنَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ**)[2]، ورؤيا الأنبياء حق ووحي، فاستجاب سيدنا إبراهيم دون أن يعترض، بل لبى بلا انزعاج واستسلم بلا جزع وأطاع بلا اضطراب، وعمق البلاء في أنه هو الذي سوف ينفذ الأمر فتذلل وتمسكن لله تعالى وكله ثقة وتوكل على الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧** ﴾[الصافات: ١٠٢ – ١٠٧].

عباد الله نستخرج العبر والعظات من هذا الموقف العظيم، وقد استخرجنا في الخطبة الماضية ثمرة المنحة بعد المحنة لما رأينه في محنة عظيمة فصبر واستسلم وتذلل والمنحة هي ﴿ **وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ**

---

[1] صححه الألباني رحمه الله.

[2] تفسير ابن كثير رحمه الله.

﴿ عَظِيمٍ ﴾، وتكلمنا عن حياته والمحن التي رآها والمنح التي وجدناها، لاسيما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥]، وكذلك المؤمنون إذا صبروا واستسلموا وتذللوا لله تعالى يجدون هذه المنح.

وثمرة أخرى نذكرها في هذا العام من هذه القصة العظيمة التاريخية، أننا إذا نظرنا إلى هذا الانقياد والاستسلام لأمر الله تعالى ما هو سببه؟ سببه أنه علم أن ربه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يولد ولم يكن له كفوًا أحد قد أمر وهذا هو التوحيد.

إن التوحيد الصحيح الخالي من الشرك أكبر دعامة على الطاعة؛ أي تَعْبُد الله وتقدم له الأعمال الصالحة تريد وجهه ووجهه فقط لا تريد رياءً ولا سمعة وهنا تجد الأمن: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٢]؛ أي بشرك.

وقد يظن البعض أن الشرك الذي يقدح في التوحيد هو أن يسجد لصنم أو لحجر، بل الرياء من الشرك يقول ﷺ: (**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ**)[1].

من الشرك الذي يقدح في التوحيد أن تعتمد على غير الله تعالى تعتمد على سبب لم يجعله الله تعالى سببًا شرعًا ولا حسًا تظن أنه ينفعك ولذلك يقول ﷺ: (**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**)[2].

يريدك الله تعالى له ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]، يريدك سبحانه أن تحقق التوحيد.

فلا صلاة إلا لله ولا زكاة إلا لله ولا ذبح إلا لله ولا يقين ولا توكل إلا على الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢]، أي لربك.

---

[1] صححه الألباني رحمه الله.

[2] حسنه الألباني رحمه الله.

حتى تعلم أن الشرع يريدك أن تحقق كمال التوحيد وأنت تأخذ بكمال الأسباب يقول ﷺ: (**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ**)[1]، أي لا ينتقل المرض من شخص إلى شخص من تلقاء نفسه بدون أن يأذن الله بل إن شاء نقله وإن شاء لم ينقله هذا هو توحيدك واعتقادك في ربك أما عنك أنت فقال ﷺ: (**وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ**)[2]، فهذا من تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب بنفسها.

يريد بك ربك أن تحقق قول لا إله إلا الله بعملك وفؤادك وإدراكك وعقلك، يحكى أن شيخًا كان عنده ببغاء، وكانت الطلبة تأتي إليه يعلمهم العقيدة، فكان كثيرًا ما يقول: لا إله إلا الله فيقلدها الببغاء فتعلم أن يقول لا إله إلا الله، وفي مرة أتوا إليه فوجده يبكي فقيل له: لِمَ تبكي؟ فقال: مات الببغاء، قالوا: لا تحزن نحضر لك غيره، قال: ما يبكيني أنه كان كثيرًا ما يقول لا إله إلا الله ولما حضرته الوفاة أخرج صوته المعروف بدون أن يذكر كلمة التوحيد، أي أنه يبكي على نفسه هل هو يقولها بلسانه خالية منها قلبه ذلك لأن لا إله إلا الله علم وعمل ويقين وتوكل، لا إله إلا الله منهج حياة.

فلا إله إلا الله لا شريك له واحد في ألوهيته لا شريك له فرد في ربوبيته حي لا يموت قيوم لا ينام.

أما الدرس الأخير في هذه الخطبة هو عدم المغالاة:

من الحكمة عباد الله كما ذكر أن الله يريد أن يكون سيدنا إبراهيم خليلًا له فلا بد أن يحقق معنى الخلة وهي المحبة التي تتخلل روح المحب وقلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب، فلما سأل إبراهيم الولد أعطاه سبحانه إسماعيل فتعلقت به شعبة من قلبه فغار الخليل على خليله فأمر بذبح ولده ليخرج المزاحم من قلبه فلما وطن سيدنا إبراهيم نفسه على ذلك حصل المقصود من الأمر فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة ﴿ **وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾** ﴾[الصافات: ١٠٧].

وهنا نتعلم عدم المغالاة، فالشرع لم يغال بذبح إسماعيل مع عدم الفائدة وحصول المقصود، وهذا الدرس أحرى للأمة الإسلامية أن تتعلمه عدم المغالاة، فالمغالاة في الشيء وإن كان حلالًا في

---

[1] رواه البخاري ومسلم رحمهما الله.

[2] رواه البخاري رحمه الله.

أصله قد يصل إلى الحرمة بعد المغالاة فلو ذبح إبراهيم ولده بعد أن فداه الله بذبح لأصبح قاتلًا حاشاه ذلك بعد أن كان مستسلمًا ذليلًا لله.

نعم عباد الله وهذا الذي نراه في هذه الأيام من المغالاة، فلعب الكرة أقصد كرة القدم لا تزيد على أنها لعبة رياضية مطلوب منك أن تقوي بدنك وتزيد من لياقتك بهذه اللعبة أو بغيرها فإن أردت أن تشاهد مثل هذه اللعبة أو غيرها مجرد التمتع بالرياضة فهذا قد يجوز مع مراعاة الشرع في ذلك بضوابطه وقيوده، أما المغالاة فنهانا الشرع عن هذا فيصبح الحلال حرام.

أنظروا عباد الله ماذا يفعل الناس في العالم كله مع المباريات هذا الاهتمام الإعلامي الذي صب قوته فيه ونحن في حاجة إلى الإعلام لنعرف أحوال أمتنا الإسلامية ومعاملاتنا وأخلاقنا وما إلى ذلك مما يريده الشرع، هذه الأموال الضخمة التي تنفق في شراء اللاعبين وما إلى ذلك والمسلمون يحتاجون للطعام والشراب والمسكن والعلاج، ثم ازداد الطين بلًا وتولدت الأحقاد بل الولاء والبراء للكرة وليس لله ولكلمة لا إله إلا الله.

عباد الله تعرفون آية المائدة في قوله تعالى محرمًا الخمر والميسر، أتدرون ما العلة في ذلك؟ قالها تعالى صراحة ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[المائدة: ٩٠]، هذا هو التحريم ما العلة يا ربي ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩١]، وما الكرة الآن إلا هكذا.

فيا أيها الناس يا أمة الإسلام يا أيها العقلاء هل أنتم منتهون عن هذه المغالاة؟!